الجراحة التجميلية والترميمية بين العرض والطلب النتائج قد تكون ناجحة او صادمة

رولى راشد

«La beauté est une éloquence muette» «الجمال هو البلاغة الخرساء»
François des Rues
«La beauté, c›est la signature de Dieu.» «الجمال هو توقيع الله.»
Charles Kingsley

على مر العصور بقي الجمال ساحراً للقلوب وسارقاً للعقول واحياناً كثيرة سّلماً للعروش.

واذا كان البعض يرى فيه كمالاً او نسبية ومقاييس محددة، فان الجامع حوله هو انه صنع الخالق القدير الذي اعطى ونحت تفاصيله في كل المخلوقات. والبارز اليوم هو ان ما تم رسمه على يده يحاول العلم والطب اليوم استنساخه بين شخص وآخر، او حتى تعديله في ملامح بعض الافراد في اطار الطب التجميلي او الجراحة التجميلية والترميمية.

لقد نجح الطب في اجتياز مراحل كثيرة في سباق الجمال في عدد كبير من البلدان حيث قدم البعض من مشاهير الاطباء ايقونات من الجميلات بعدما حولت جراحات اجروها لكثيرات من نجوم هوليود من امرأة عادية الى جميلة وحتى فاتنة.

وشيئاً فشيئاً غزا الطب التجميلي عيادات كثيرة واستنزف الجيوب باشواط كبيرة، بعد نجاح البعض من الاطباء في جعله سحر يصنع المعجزات ويقضي على كل العقد والعاهات. الا انه في المقلب الآخر، لم يستطع الطب التجميلي من الخروج من القبان، حيث مقابل النتائج الجيدة في الجمال المنشود تبقى مخاطر التشوّه غير المرغوب وابعد منه الموت.

تتصدر الولايات المتحدة قائمة الدول التي تجري اكبر عدد من عمليات التجميل، وعمليات الصدر هي الأكثر انتشارا. وقد تراجعت تكاليفها منذ عام ٢٠١٥ بمعدل ٢،٧ ٪، مقابل عمليات شفط الدهون التي ارتفعت تكاليفها بمعدل ٦،١٪ وللفترة ذاتها، وفق ما كشف عنه آخر تقرير صادر عنه المعهد الأمريكي لعمليات التجميل (ASPS).

وأصبحت هوليود (مدينة السينما) ولوس أنجلوس من اكبر المدن لذلك النوع من جراحة التجميل.

ورغم أن هناك اعتقاد في العالم العربي بان لبنان قد يكون في الصدارة حيث **يبلغ حجم الانفاق السنوي على الجراحة التجميلية فيه ما لا تقل عن ٥٠ مليون دولار وفق ما ذكره "للصحة والانسان" رئيس جمعية جراحي التجميل والترميم الدكتور ايلي عبد الحق.** إلا أن آخر الإحصائيات المقدمة من قبل الجمعية الدولية لجراحة التجميل ISAPS، تفيد أنه وفي عام ٢٠١٦ سجلت المملكة السعودية ٩٥ ألف عملية تجميل من أصل ١٢ مليون عملية من هذا النوع على مستوى العالم، وبذلك هي الأولى عربيا والثالثة عالميا من حيث عدد العمليات.

مفهوم وتاريخ

وفي مفهوم الجراحة التجميلية هي الجراحات التي تجرى لأغراض وظيفية أو جمالية؛ هي بالمفهوم البسيط استعادة التناسق والتوازن لجزء من أجزاء الجسم عن طريق أستعادة مقاييس الجمال المناسبة لهذا الجزء.

أصل كلمة Plastic أتت من الكلمة اليونانية plastikos وهي فعل «يقولب» أو «يشكّل». وبالتالي فهي لا تمت بصلة إلى مادة البلاستيك كما قد يتبادر إلى أذهان البعض.

يعود تاريخ جراحة التجميل الي العالم القديم. الأطباء في الهند القديمة وتحديداً الطبيب الهندي الكبير Susrutha الذي استخدم ترقيع الجلد في القرن الثامن قبل الميلاد. واستمر استخدام هذه التقنيات حتى أواخر القرن الثامن عشر وفقاً للتقارير المنشورة في مجلة Gentleman›s Magazine عام ١٧٩٤.

تمّكن الرومان من استخدام تقنيات بسيطه مثل إصلاح الاضرار في الاذان بدءاً من القرن الأول قبل الميلاد.

لكن بالنظر الي المخاطر المرتبطة بالجراحات عموماً لم تصبح مثل تلك الجراحات مألوفة حتى القرنين الـ ١٩ و ٢٠.

وفي اميركا: أول طبيب تجميل هو الدكتور Dr. John Peter Mettauer فقد أجرى أول عملية cleft palate عام ١٨٢٧ بأدوات صممها بنفسه لتلك العملية. والنيوزيلاندي Sir Harold Gillies وضع العديد من التقنيات الحديثة في جراحه التجميل والعناية للمصابين بتشوّهات الوجه في الحرب العالمية الأولى، ويعتبر هذا الطبيب هو الأب للجراحة التجميلية الحديثة.

وقد توّسع عمله في الحرب العالمية الثانية على يد أحد تلاميذه الذي يمت إليه بصلة قرابة وهو Archibald Mcindoe، الذي يعتبر رائد جراحات التجميل لمن عانوا من الحروق الشديدة.

قد يبدو للبعض بأن جراحة التجميل هي نوع من العمل السحري الذي يؤدي بزمن قصير، دون عناء أو مشقة ويحصل المريض على أفضل النتائج دون ألم ولا معاناة ولا ندب ؛ وهنا تبرز مسؤولية الاعلام المسؤول سواء في التسويق او التوعية. والمبالغ المرصودة بهدف التسويق هي بالتأكيد تفوق تلك الموّظفة للثانية. فبعض الحملات الترويجية يظهر المعجزات التي يمكن أن تنجز من خلال مبضع الجراح التجميلي والنتائج الباهرة والتغيّرات الظاهرة دون حتى التلميح الى اي مضاعفات قد تحصل اقلها التشوهات الازلية .

وذلك قد أدى في كثير من الدول التي تنتج فيها هذه المسلسلات بأن تمنع أو تقاطع أو تحارب من قبل جمعيات جراحي التجميل في ذلك البلد أو في بلدان أخرى، ومن أشهر الدول التي شنت فيها مثل هذه الحملات هي ألمانيا حيث فرضت الجمعية الألمانية لجراحة التجميل التحسينية مقاطعة شاملة على برنامج (Extreme Makeover) لما يمثله من تطرف في عرض الجراحات وتبسيط في وصفها وثناء على نتائجها وبطرقة بعيدة عن الواقع. وقد شهد القضاء في كثير من الدول العديد من الدعاوى في قضايا التجميل .

في القانون، وفق ما يذكره رئيس مؤسسة جوستيسيا المحامي الدكتور بول مرقص «يكون جرّاح التجميل ملزماً بجميع الموجبات الملقاة على عاتق أي طبيب آخر عام أو متخصص، إضافة إلى موجب الامتناع عن إجراء الجراحة التجميلية إذا كانت تؤدي إلى مخاطر حادة أو لم يكن نجاحها مؤكّداً، لأن الأمر في هذا المجال ليس على درجة من الحيوية التي تتعلق بحياة المريض وصحته، ويمكن الإستغناء عن إجراء العملية دون تأثير ذلك على سلامة الفرد وصحته خصوصاً أن جراحة التجميل هي حالة باردة وليست حرجة، ويكون للطبيب الوقت الكافي لإعلام المريض بالمخاطر والتداعيات، ويمكن للمريض اتخاذ ما شاء من الوقت للتفكير ودرس المخاطر لاتخاذ قراره الصائب والمسؤول.

التعويضات المترتبة عن الأضرار الناجّة عن الأخطاء الطبية في جراحة التجميل تشكل ٤٥٪ من الحالات، مقارنة مع ٣٠٪ من نسبة التعويضات الطبية بشكل عام.

ونظرا لازدياد عدد الأخطاء الطبية سنوياً وتكبيدها أموالاً طائلة للدول بين تعويضات وغيرها، أنشأت دول مثل الولايات المتحدة وكندا والدول الأوروبية مؤسسات تعنى بتقليل أعداد الأخطاء الطبية عبر مواكبة ومتابعة الأنظمة والشروط المتبعة، وقد أعطيت صلاحيات كبيرة لفرض تلك الشروط والضوابط في القطاعين العام والخاص».

عناصر نجاح التجميل

ويرتبط نجاح عمليات التجميل بـ٤ عناصر يمكن اختصارها ب: اولا: المريض، الذي يجب ان تتوافر فيه عناصر نجاح العملية الجراحية من حيث الصحة العامة والخلو من مضادات الاستيطاب الجراحي والأمراض المزمنة الغير مسّيطر عليها.

ثانياً: الجراح لابد أن يكون متدربا وحاصلا على شهادة اختصاص وتصريح ممارسة المهنة، وايضاً ملماً بذلك النوع من العمل الجراحي ومتدرباً على القيام به ومدركاً لكل خصائصه ومضاعفاته المحتملة وأن يناقشها مع المريض قبل الشروع في العمل.

ثالثاً: نوع الجراحة وبعد مناقشته جميع البدائل المتاحة لذلك المريض يتم اختيار الأنسب له من حيث إمكانيات الجراح وحالة المريض والمكان الذي ستجرى فيه الجراحة.

رابعا: تجهيز المكان الذي ستجري فيه العملية إن من الأسباب المهمة التي تقي من مضاعفات أي عمل جراحي هو المكان الذي يجري فيه ذلك العمل، ومواصفات حالة العمليات لابد أن تتوافر فيها متطلبات إضافية تفوق تلك التي يجب توافرها في حالات العمليات الأخرى ذلك أن جراحة التجميل هي جراحة اختيارية مخطط لها ومجدولة ولابد لها أن تكون ناجحة تماماً والخطأ فيها غير مقبول فلا بد أن تكون الصالة مجهزة تجهيزاً كاملا وتحوي كل ما قد يحتاج إليه الجراح أثناء الجراحة.

في العصر الحديث بعد ازدياد وسائل التجميل وتقدم الطب التجميلي والتكميلي، لم تعد جراحات التجميل ترفا، بل لجراحات التجميل الناجحة أثر كبير على نفسية المريض؛ فعلى سبيل المثال يعاني بعض الناس من الاكتئاب المزمن بسبب تشوه خلقي وقد يؤدي به إلى الانطواء والانزواء، وفي هذه الحالة، تعتبر جراحة التجميل هي العلاج النفسي الناجع لذلك المريض، فما أن يرضى المريض عن ذاته يزيد إقباله على الحياة.

في الواقع، عمليات التجميل لا تخلو من المخاطر والحل بتطبيق القوانين. ولاجل ذلك، اصدر وزير الصحة العامة غسان حاصباني قانوناً حمل الرقم ٣٠ تاريخ ١٠ شباط ٢٠١٧ ونشر في الجريدة الرسمية بتاريخ ١٦ شباط ٢٠١٧. وقد نظم القانون تعريف التجميل الطبي ومراكزه ومجموعة الاعمال الطبية التي تخوّل المركز القيام بها. كما حدد الاختصاصات الطبية التي يجاز لها مزاولة مهنة التجميل الطبي.

واعطى هذا القانون مهلة ٦ اشهر لمراكز التجميل الطبية القائمة لتسوية اوضاعها القانونية من تاريخ نشر هذا القانون، أي تنتهي في ١٦ آب ٢٠١٧ تحت طائلة إقفالها حكماً بقرار من وزير الصحة العامة.

كما أعلن الوزير حاصباني عن إصدار قرار تنظيمي يتعلق بتنظيم العمليات الجراحية داخل المستشفيات المتخصصة.

باختصار، الطب التجميلي الذي استخدم للحاجة الملحة، وللترف في بعض الحالات سيكون بخير محققا النتائج الموعودة بعد التزام ممارسيه بالقوانين.

والجراحة التجميلية التي يسير الطلب عليها في القرن الحالي بوتيرة متسارعة ومتصاعدة مع اختراق لبعض القرارات المتسرّعة هي عنوان ملف هذا العدد، الذي تناولنا فيه المفهوم والواقع والتنظيم وما يواكبه من قوانين ومعايير.